توظيف الموروث الشعبي والبيئة الشعبية في الأدب العراقي

جودت جالي

حسن كريم عاتي

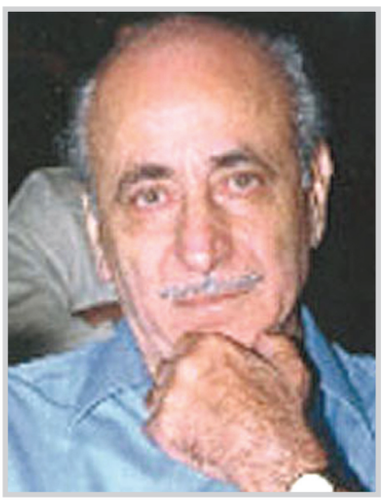
فؤاد التكرلي

غائب طعمه فرمان

قلت في مقال منشور كتبته باللغة الفرنسية، أستجابة لتكليف من مجلة (بغداد) التي تصدر عن دار المأمون، مامعناه أن جزءاً لا يستهان به من الفضل في معرفتنا بأحوال شعوب الغرب وعاداتهم وتراثهم في القرون الماضية، يعود للروايات والقصص التي كتبها الكتاب آنذاك. هذه الأعمال هي وثائق من هذه الناحية تحفظ لنا، من بين ما تحفظ، التراث الشعبي. أن السواد الأعظم مما نطلع عليه هذه الأيام من قصصنا يقصر عن تقديم هذه الخدمة للتأريخ، عن جهل أو نقص إطلاع من ناحية، وعن سوء فهم لوظيفة الترميز والتمثل من ناحية أخرى، والسبب الجامع ربما هو كسل كتابنا عن السعي لمعرفة تراثهم الشعبي بالمعايشة ولو بالتردد من وقت لوقت على المصادر الحية للمعلومات(بقصد توثيق هذه المعلومات) لجمع المادة الأولية لأعمالهم الإبداعية.

من الأمثلة على الأعمال الإبداعية القائمة على المعايشة والتمثل الإبداعي الراقي دواوين مظفر النواب التي تستند الى كم ونوع هائلين من أصول الموروث الشفاهي وكيفية توظيفه، لو وضعت لها، قبل فوات الأوان، الحواشي والشروح لشكلت هذه كتبا ملحقة بالدواوين تشتمل على مجالات تراثية لا تخطر على بال من يقرأ الآن القصيدة النوابية باعتبارها شعرا فقط وليس خزينا ثقافيا.

يغفل كثير من قصاصينا ما تتطلبه الكتابة عندما يكون محور الثيمة شخصيات تعمل في مهن معينة (نجار، مهندس، عامل خراطة، راعي، صياد مثلا ...)، والمادة الأولية، خامتها، تكون من يوميات هذه المهنة، وأفرادها يعيشون في بيئة محددة. ألا يجب أن أعرف تفاصيل كافية (واقعية) و(مادية) عن نمط الحياة لخلفية قصتي؟ أحاول التأكد من صحة معلوماتي في الأقل من أهل المهنة أو البيئة. يفتتح القاص حسن كريم عاتي مجموعته القصصية (عزف منفرد) بقصة (ليل الذئاب). هذه القصة مقامة على موروث شعبي، حكايات لاحصر لها عن الذئاب روتها الجدات ريفيات الأصل أو بدويات الأصل لأحفادهن المدينيين أو رواها لهم الآباء والأجداد الذين عاشوا في الريف والبادية، وهنا يكمن الفرق الجوهري، بين الجد الذي عاشها والحفيد الذي سمعها وحاول أن يستثمر حكاية سمعها ذات ليلة شتوية في قصة. أنه وبكل بساطة، ربما يفسد كل شيئ. أن رواية مثل (وداعا ياغولساري) و(الغرانيق المبكرة) و(منصة الإعدام) لجنكيز آيتماتوف أو (عن الفئران والرجال) و(عناقيد الغضب) لجون شتاينبك، ولايفوتنا أن نذكر معها روايات وقصصا لكتاب ك(فؤاد التكرلي) و(غائب طعمة فرمان)، أمثلة جيدة على تناول عناصر البيئة الشعبية، عن معايشة، دون تغيير وتبديل في الملامح (وأكاد أقول الخواص)، وتكمن عبقرية هؤلاء الكتاب في الصياغة الذهبية لهذه العناصر الأولية، في الاختيار والترتيب بحيث يبرز المعنى الموجود أصلا فيصبح أكثر وضوحا.

يخرج الرعاة عندنا الى البرية بأغنامهم وقت الربيع أذا كانت كثيرة العدد، ولكن لا يوجد لهم مكان مخصوص محجوز وبناء ثابت ككوخ أو نحوه يقصدونه كل ربيع كما يحدث عند الصيادين في الدول الغربية مثلا، وكما وصف لنا حسن كريم عاتي في هذه القصة. تسكن الجماعة (وتسمى في هذه الحالة عزبة) في بيت شعر (بفتح الشين والعين) لأن عليها الانتقال كل بضعة أيام ألا أذا كانت قد (ضمنت) حقلا من القمح أو الشعير أول طلوعه من الأرض ويسمى (صيل) في هذه الفترة(بطريقة الضمان المعروفة حيث يسمح مالك الحقل للراعي مقابل ثمن بالرعي فيستفيد فائدتين، يتقاضى مبلغا من المال أو مقابلا عينيا، والفائدة الثانية هي أن الزرع سينمو من جديد أقوى وأحسن)، وعند العودة من المرعى (الترويح). توضع الأغنام في (المراح) داخل (حوطة) وحوطة الغنم عبارة عن جدار دائري من أكوام الشوك والعاقول أو أية معوقات تزودهم بها الأرض فلما تطورت الحياة أصبحت الحوطة سياج حديد مشبك (بي آر سي) لا يستطيع اختراقه حيوان ضار فإذا تورط وحاول تكفلت به كلاب الرعاة التي تماثله في الضراوة والافتراس حتى لا يستطيع الضيف عندهم الخروج لقضاء حاجته دون حماية أحدهم، ولذلك يكون مقامه عندهم قصيرا لغاية طارئة، والذئب يخشى الكلاب أكثر من خشيته الراعي وبندقيته. في الشتاء يبنى للغنم بيت شعر كبيت الرعاة يغطي الحوطة أن وجدت أو البي آر سي. لا يخرج راع لوحده (معزبا) كما يفعل راعي حسن كريم عاتي، بل يخرج عدد من العائلة مكون من رجل مع شقيقه أو راعي غنمه في الأقل وزوجة الراعي أو أخته ربما لكي تصنع لهم الطعام وتقوم بالمهام المنزلية وقد يكون العدد أكثر أذا كانت الأغنام أكثر.

الخطر الوحيد من الذئاب على الأغنام يكون وقت الانتشار للرعي (السراحة) نهارا، بطريقة الاختطاف والمباغتة حتما، فالذئب برغم ما نسمع عنه من حكايات مخيفة لا يجرؤ على الاقتراب وهو يرى بشرا وكلابا، وقد يتحين فرصة الإهمال ليلا وعدم وجود كلاب أما أذا وجدت الكلاب فلا أمل له مطلقا. الراعي لا يحرس أغنامه وهو مختبئ بينها، وعلاوة على ذلك، يكون في حفرة كما في قصة (ليل الذئاب)، وداخل كوخ!! هذا الكمين يعد (للحايف، للساطي، للحرامي، ... إلى آخره) وليس لذئب، كما أننا حتى ولو قبلنا بأنه ينتبه الى الريح ليحدد الجهة التي سيهاجمه منها الذئب (وهو داخل كوخ مغلق الباب!) وفي الوضع الذي يصفه فأن انتباهه ينطوي على خطأ ستراتيجي لأنه يقول أن انتباهه كان(عكس الريح) ما يعني أنه جعل الجهة التي سيهاجمه منها الذئب خلف ظهره (ربما سمع القاص حكايات فأخطأ في وضعها في مواضعها المناسبة، كالانتباه إلى اتجاه الريح وكذلك سمع بالتصويب في الاتجاه الذي ينظر أليه الكلب ويتم توجيه فوهة البندقية باستقامة خط وهمي يمر من بين أذني الكلب!).

يستطيع القاص أن يشغل خياله ويبني قصته على شروط وعناصر واقعية من المادة الأولية ويسوغ ويبرر(كما سوغ آيتماتوف عزلة بطله وحصانه غولساري مثلا) بمهارته لماذا الراعي وحده وأغنامه تتعرض إلى هذه المذبحة الرهيبة ولماذا هو يختبئ في كوخ وحوله أغنامه و يحتفر له حفرة في إجراءات مناقضة لمنطق هذه المواجهة وطبيعة الأشياء. أن الذئب كأي حيوان يخشى المطر ويرعبه صوت الرعد ويرتد مذعورا من الرصاص والنار ولذلك لا يمكن ألا لذئبه حسن كريم عاتي ذات الطبع الفريد أن تخرج تحت المطر وتصر هذا الإصرار على مواجهة الموت رميا بالرصاص حتى ولو، كما حاول القاص إفهامنا، ثأرا لذكرها القتيل بل تتبع غريزتها التي تبعدها عن الخطر فهي ليست امرأة ترمي نفسها على قاتل حبيبها في هجوم انتحاري، ولا تخرج الذئاب مجتمعة بهذه الكثرة في بوادينا ألا أن يكون الراعي أخطأ فقاد غنمه الى مذأبة. كذلك شأن قصة (بكتريا المتاحف) مجازفة وذكر لكل ما يعين على البال في ميدان يتطلب معرفة (مهنية). أن مجرد التفكير بكتابة قصة بطلها صياد لن يجعلني (جاك لندن) وتخيل قصة فيها مخطوطات أو مسكوكات لن يجعلني (أمبرتو أيكو) أو (دان براون). في هذه القصة (بكتريا المتاحف) قصص ناجحة حشرت في جلد أضيق من أن يستوعبها وقد أضرها إجبارها أن تكون واحدة. ثيمة التوابيت واحدة، وثيمة الآثار التي تحت أساسات مدينة أخرى، والمخطوطات والعسس ثالثة). شيء مؤسف... أن العلاقة بين العسس والمخطوطات تشكل لوحدها ربطا جديدا غريبا على بيئتنا لأن العسس، في الواقع، هم رجال الشرطة الخيالة الذين كانوا يقومون بدوريات على الطرق الخارجية ليلا ثم شيئا فشيئا مع تعبيد الطرق وكثرة السيارات وتوفرها عند الشرطة أصبح عمل العسس يقتصر على التبليغ والإحضار أمام الجهات الرسمية من المناطق الريفية التي عادة ما تكون فيها موانع طبيعية، أنهار على الأكثر، يصعب على السيارة أختصار الطرق فيها، وليس لهم علاقة بمخطوطات أو آثار بل بما يوجد عادة في أي مركز للشرطة (وهنا يسمى مركز العسس وليس دار العسس كما يسميه القاص وأنا ألاحظ كثرة استخدام مفردة العسس هذه الأيام فيما يشبه الموضة عند كتاب ونقاد عديدين).لكن الربط الفني المقتدر مع التسويغ المقنع لما وصف ليس منكرا بحد ذاته لو أستطاع، وهو يستطيع كما يبرهن لنا في نصوص أخرى عندما لزم نقاط قوته وأقتصر على ثيمة واحدة من زاوية وبمادة يمكنه السيطرة عليهما، كما في قصة (عزف منفرد) فيكون أقرب الى مكانه المناسب، ونراه في (تخوم الماء) أكثر أثارة لاهتمامنا بحكاية جزيرة مجنون في الهور، والتي أخصبت خيالات السماكة وأرعبهم حارسها الأسطوري (حفيظ). الحقيقة أن الهور وكائنه الأسطوري باختلاف التناول والتسميات قد سبق له أن كان عدة مرات بيئة لثيمة أعمال عديدة فقد ذكر لنا ناجح المعموري في مقاله (السرد.. وقائع المجتمعات المتخيلة) في جريدة الأديب العدد ١٥٦ بأن أسطورة قد تكون هي نفسها(كوت حفيظ) تناولها بتوظيفات مختلفة فهد الأسدي وجمعة اللامي وشوقي كريم وجاسم عاصي وأشار أليها لؤي حمزة عباس. أشير هنا الى توظيف جيد لمثل أجواء (ليل الذئاب)، عند كاتب هو حامد فاضل الذي كان كاتبا مجيدا في السبعينيات ينشر قصصه في مجلة الطليعة الأدبية ثم ترك الكتابة وعاد أليها مطلع التسعينيات، أختار حامد فاضل أجواء معينة شعبية محلية من السماوة والبيئة المحيطة بها بحيث شكل لغنه شخصية مميزة. يوظف مشاهداته اليومية في مدينته أو المعلومات الشعبية المتداولة بين الناس عن الجن أو الحيوانات البرية أو البادية مثلا ويتمثل هذه المعلومات ليخرج بقصة فيها البساطة والعمق في آن معا، لا يجازف بالتكلف أو يثقل اللغة ولايمنح المادة رموزا قسرية. ما يفعله، وهذا ليس سهلا بأية حال، هو أنه يدخل على الحكاية القديمة (يمكننا الإشارة إلى قراءة الناقد ياسين النصير لقصص حامد فاضل ليأخذ القارئ فكرة وافية عن فن هذا القاص وسيجد القراءة منشورة على الانترنيت) ويعكسها على شخصيات القصة الرئيسية فتكون انفعالات المعايشة التحديث المطلوب لنقرأ قصة اكتسبت رمزيتها تلقائيا دون قسر. أن الطاقة الخيالية الكامنة في المادة الأولية نفسها قد تعطي دفعا تلقائيا لثيمة القصة تساعد مخيلة الكاتب شرط أن يعرف حدوده، حدود التصرف بالمادة، وحدود إمكانيته في التصرف.

مطبوعات صدرت حديثاً

مراجعة: علي مال الله
مذكرات ورحلات الى بغداد
ترجمها: كاظم سعد الدين

صدر عن الموسوعة الثقافية ببغداد مؤخرا كتاب حيوي من ادب الرحلات الكاشفة عن اثنوغرافيا بغدادية،ترتبط بالثقافة الشعبية وتظهر الكثير من التفاصيل الجيو – سوسولوجية في بغداد مطلع القرن العشرين وصولا الى منتصفه.

اختار فصول الكتاب وترجمها وعلق على الاراء الواردة فيها المترجم القدير والباحث الفولكلوري الرائد كاظم سعد الدين،وصدر الكتاب بعنوان((مذكرات ورحلات الى بغداد))

وجاءت فصول الكتاب على وفق الترتيب التالي:

١.مذكرات وليم ويلكوكس في العراق بين عامي ١٩٠٨ –١٩١١

٢.رحلة نواب حميديار جونك بهادر – وهي رحلة تمت على مستوى العراق ومدنه المقدسة عام ١٩٠٨

٣.رحلة كودالا التي ترجمها سعد الدين تحت عنوان ((ثورة مايس في العراق والقوة الجوية البريطانية في الحبانية، وهي تقرير سياسي عسكري اكثرمنه اي وصف اخر له.

٤. العاق في (الرحلة العربية وأسفار أخرى في الصحراء) لجيرالد كاوري وهي رحلة تتعلق بتفاصيل هروب الوصي عبد الآله من بغداد وعودته بمساعدة القوات البريطانية وقوات الليفي وجزءمن قوات الجيش العربي، وهي رحلة قريبة التفاصيل والتوجهات من رحلة كودالا اعتنت رحلة ويلكوكس بتفاصيل عمله بداية مع العثمانيين وحرصه على عدم الاحتكاك مع الالمان.

شمّر – جربا
والانتقال من الترحال الى الاستقرار
تأليف:لوتار شتاين
إصدار الهيئة السورية العامة للكتاب ٢٠٠٧

درس الباحث الالماني لوتار شتاين في فصول هذا الكتاب تقاليد وعادات هذه القبيلة الكبيرة التي يعيش افرادها في بيئة بدوية بين باديتي العراق والشام (بادية الجزيرة)، وقد أستعان شتاين بشعر القبيلة ليكشف عن أستخداماتها للمواد الحياتية العملية أضافة الى الاسلحة والازياء.

العادات الشعبية بين السحر والجن والخرافة
تأليف: فارس خضر
منشورات:الاذاعة والتلفزيون –مصر –٢٠٠٨

تناول كتاب الاستاذ خضر الكثير من الموضوعات التي تتعلق بالسحر ومنها طقوس استرضاء الكائنات غير المنظورة مثلا القرائن (جمع قرينة) والملائكة الدوّارة والعفاريت والجانّ، وانتقل المؤلف بعدها الى المعتقدات المرتبطة بـ (الجبسة – الربط) عند المرأة والطرق السحرية لفكها.

المعتقد الشعبي دراسة في الطب العرقي
تأليف:د. مرفت العشماوي
دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – ٢٠٠٩

جمعت الباحثة مادة كتابها من منطقتي برج العرب وراس التين في مدينة الاسكندرية وناقشت المفاهيم العامةللدراسة وتعاريف الطب الشعبي وتفاسير حدوث الامراض، وتناولت الباحثة الممارسين الشعبيين بالدراسة ثم تطرقت الى العناصر الاجتماعية والثقافية المؤثرة في الطب الشعبي مثل الحسد والسحر والممارسات السحرية. كشف الكتاب ايضا عن علاقة الطب الشعبي بالايكولوجيا ونظرية الرواسب ونظرية العلامات والعلاقة بين المعتقدات الشعبية والطب الحديث واظهرت الباحثة في الختام أن الطب الشعبي يشكل ظاهرة عامة في كل المجتمعات على أختلاف درجة تقدمها.

العادات والتقاليد الشعبية: المنهج والنظرية
تأليف: د. سميح شعلان
عين للنشر –القاهرة – ٢٠٠٨

سعت هذه الدراسة الى تتبع تاثير المناهج والدراسات والنظريات العلمية الحديثة في دراسة العادات والتقاليد الشعبية، بدأ شعلان بحثه بمناقشةمفهوم العادة الشعبية لدى سمنر وريل وتولس. ثم أنتقل الى بحث الاتجاهات المنهجية الحديثة في دراسة العادات والتقاليد من خلال مناقشة الدراسات العربية السابقة. عرض المؤلف بعد ذلك لدراسة الاتجاه الجغرافي في الدرس وعمل وتأثير الاطالس الفولكلورية، وخصص جزءا من كتابه لدراسة المدخل اللغوي ثم تعرض الى الدراسات البولندية في نهاية القرن العشرين فيما خصص القسم الاخير من كتابه لبحث الاتجاهات والنظريات الحديثة في دراسة العادات والتقاليد الشعبية متناولا نظرية الفعل الاجتماعي لفيبر ونظرية التفاعلية الرمزية ونظرية الاتصال والتغير الاجتماعي ونظرية العولمة الثقافية مناقشا بعد ذلك موضوع التعددية الثقافية.

شارع الرشيد
إعداد وتقديم: باسم عبد الحميد حمودي
ط٢ – الدار العربية للموسوعات – بيروت٢٠٠٨

بعد صدوره في بغداد عام ٢٠٠٠ اعادت الدار العربية للموسوعات اصدار هذا الكتاب دون رخصة من المؤلف اوالدار الناشرة ببغداد، وقد حوى الكتاب على مقدمة توثيقية لاهمية هذا الشارع التاريخي ولجهد مجلة التراث الشعبي في اصدار عدد خاص عن هذا الشارع (ويعد هذا العدد أول عدد في العالم تصدره مجلة فولكلورية عن شارع)، حوى الكتاب على عدد من الدراسات عن تأريخية الشارع وعمارته ودور اللهو والصحافة والمقاهي فيه وعن أهم المظاهر العمرانية فيه وفي الشوارع والازقة المرتبطة به وعن أهم المناسبات التاريخية التي حدثت فيه وعن تأثيراته على الادب الروائي العراقي وعن سينماته وأهم معالمه. ساهم في الكتاب الذوات :عزيز جاسم الحجية – عبد الجبار السامرائي– فؤاد قزانجي – باسم حمودي – علي زين العابدين – عادل العرداوي – اسامة النقشبندي – وسواهم.

الامثال الشعبية في ذي قار
تاليف: ماجد النجار
اصدار : دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد –٢٠٠٧

اعد الباحث كتابه هذا بعد جهد كبير بذله في جمع الامثال وحكايتها، واضعا مقدمة تمهيدية ثم فصلا خاصا بأهمية المثل الشعبي ليأتي بعد ذلك القسم الخاص بالامثال وحكاياتها وقد جمع الباحث هنا خمسة وعشرين مثلا وحكاياتها .

يأتي بعد ذلك القسم الخاص بالامثال حسب تسلسلها الالف بائي وبذلك قدم الباحث الاف الامثال الفراتية الجنوبية ووضعها في اطار علمي اولي يعد مصدرا لدراسات تالية وقدم بهذا خدمة جلية للمهتمين.

جديد مجلة التراث الشعبي
عدد اول وهيئة استشارية جديدة

صدر العدد الفصلي الأول لعام ٢٠٠٩ من المجلة الفولكلورية العريقة (التراث الشعبي) في مفتتح سنتها الأربعين وقد ضم مواد ودراسات جديدة وهيئة استشارية جديدة تألفت من الذوات: أ.د.داود سلوم – أ.د.حسين أمين– د.حميد مجيد حسن –الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي – الأستاذ كاظم سعد الدين.

وتألفت هيئة التحرير من الذوات: أ.نوفل هلال ابور غيف رئيسا لمجلس الإدارة – أ.قاسم خضير عباس رئيسا للتحرير– د.سعيد عبد الهادي مديرا للتحرير– أ. زيارة مهدي سكرتيرا للتحرير– الإخراج الفني: عمار صباح

من مواد العدد:المؤشر العربي في كتاب الكونت لوكانور للدكتور داود سلوم – حكايات الأطفال الشعبية للدكتورة كارين صادر (الجامعة اللبنانية)–ما يتعلمه الكبار من كتب الصغار للدكتور شفيق مهدي.الأحجار الكريمة للدكتور قيس كاظم الجنابي – عادات شعبية خاطئة للدكتور محمود الحاج قاسم– الجوانب البيئية في عمارة الأسواق التراثية للدكتور حيدر كمونة – سحر القصب من السومريين إلى عرب الاهوار للأستاذ جبار الجويبراوي – ابو الخصيب للأستاذ إبراهيم عبد الرزاق – من فنون البصرة للأستاذ عبدالله رمضان إضافة إلى موضوعات مهمة أخرى وأبواب المجلة الثابتة.

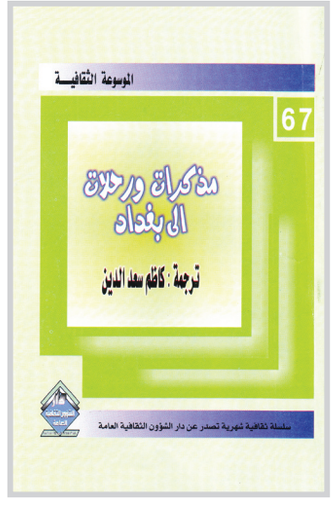

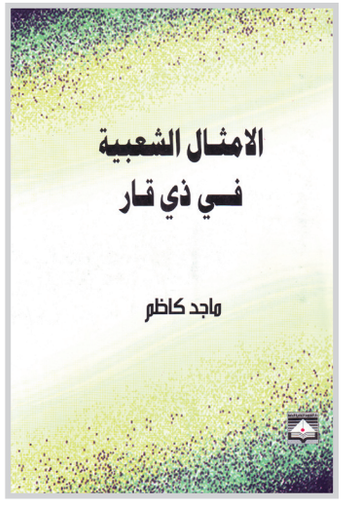

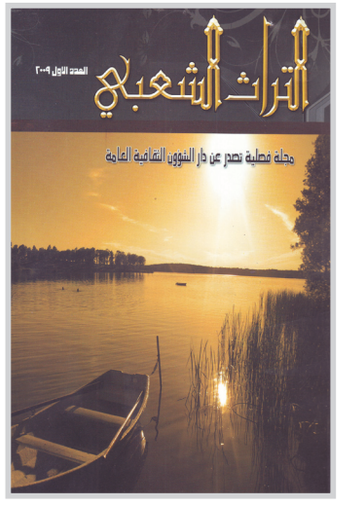

الميثولوجيا و مدلولات التماثل في أساطير الشعوب

ترجمة/ عادل العامل

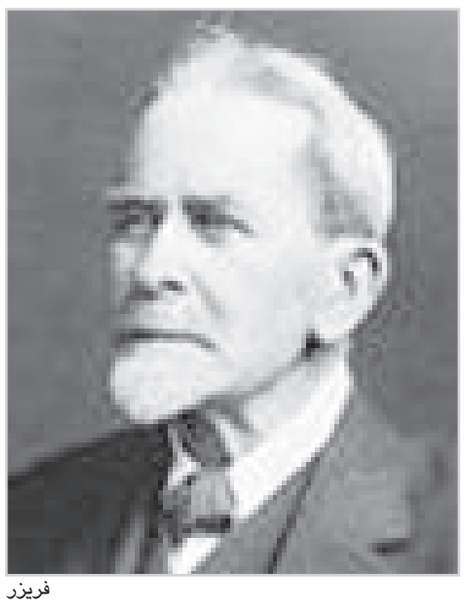
فريزر

يقوم طلبة الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، والفولكلور، والدين، بدراسة الأساطير بطرق مختلفة، مميزين إيّاها من الأشكال الأُخَر المتنوعة من الأدب الشعبي، والمنقول شفهياً في الغالب.

والكثير من ذلك الأدب مصنَّف وفقاً لوظيفته المفترضة: الحكايات الخرافية، التي ترشد، والحكايات المتعلقة بعلم الأمراض etiological، التي تشرح والحكايات الفولكلورية، التي تسلّي.

و يمكن أن تنجز الأساطير أي واحدة من هذه الوظائف الثلاث أو جميعها، و لكنها إضافة إلى هذا تؤدي دوراً حاسماً في الكيفية التي تنشئ بها ثقافة معناها الزمني. وبهذا المعنى تقارَن الأساطير بالتاريخ، الذي يهتم بالأحداث الراهنة، الموثقة جيداً، و تقارن بالملاحم الشعرية و الخرافات legends السردية، التي تهتم بشخص، أو مكان، أو حادث تاريخي من الماضي البعيد؛ و أحد الأمثلة على هذا قصة ركوب ليدي غوديفا المكشوف عبر كوفينتري. (خرافات الملوك النرويجيين والأيسلنديين، مسجلة من القرن ١٢ إلى القرن ١٥، وتدعى ساغا sagas). وعلى كل حال، فإن الأسطورة بوجه عام قصة تجري أحداثا في ماضٍ، ناء، متخيَّل، لا زمن له و تروي أصول البشر، والحيوانات، وما هو خارق للطبيعة.

و بينما الميثولوجيات الأغريقية، و الرومانية، واليهودية هي الأفضل من ناحية معرفة الناس لها، فإن الميثولوجيات المهمة الأُخَر هي الإسكندنافية، التي هي أقل تجسيماً و اتصافاً بالصفات البشرية من الأغريقية، والهندية، أو الفيدية Vedic، التي تميل لأن تكون أكثر تجريداً ولا دنيوية من الأغريقية، والمصرية، التي تتصل كثيراً بالشعائر الدينية، والمسَبوتَيمية Mesopotamian) ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين)، التي تشاطر الميثولوجيا الأغريقية اهتماماً قوياً بالعلاقة بين الحياة و الموت. و قد استُخدمت الأسطورة لإغناء الأدب منذ زمن أسخيلوسَ و استعملها بعض الشعراء الإنكليز الكبار (ملتون، شيلي، كيتس، على سبيل المثال).

وأنشأت بعض الشخصيات الأدبية الكبيرة، مثل وليام بليك، جيمس جويس، فرانز كافكا، و. ب. ييتس، ت. س. إليوت و والاس ستيفنس عن وعيٍ أساطير شخصية مستعملين في ذلك المواد القديمة و رموز منشأة على نحو جديد. إن دراسة أساطير المحليين الأمريكيينَ الشماليين والجنوبيين، وسكان أستراليا الأصليين، وشعوب جنوب أفريقيا، وغيرهم، قد أظهرت كم هي واسعة الانتشار الكثير من العناصر و المفكرات العامة motifs الميثولوجية.

ومع أنه ليس هناك أية أسطورة عالمية محددة، فإن هناك موضوعات و فكرات عامة تعود لأساطير ثقافات وعصور متنوعة. فبعض الثقافات لديها أساطير عن خلق العالم، وهذه تتسلسل من إله يكيِّف الأرض من فوضى مجردة إل حيوانٍ معين يخلقها من قبضة طين. وهناك أساطير أُخَر عن تدمير وخلق دوريين توازيها أساطير موسمية عن الموت و الولادة من جديد. ففي اليونان كان الاهتمام بالخصب المجدد موسمياً. وكانت ثقافات معينة (كثقافة ما بين النهرين) مهتمة بفترات أطول من موت نباتي عبرجفاف مطوَّل. وفكرة عصر ذهبي اعتُبرت البشرية وكأنها انحطت فيه من حالة كمال أسبق هي موضوعة شائعة أخرى (مثل عصر هيزيود Hesiod الذهبي و جنة عدن في الفكر اليهودي و المسيحي). وفكرة الفيضان هي الأخرى واسعة الانتشار للغاية وعنصر واحد من مجموعة أساطير تهتم بدمار وإعادة خلق العالم أو مجتمع بعينه. و الأساطير التي تعالج أصل النار، أو استعادتها من كائن ما سرقها أو يرفض مشاطرة آخرين له فيها، والعصر الألفي السعيد الذي سيعود، فالموتى أو العلاقة بين الأحياء والموتى أمر مشترك.

وكانت هناك نظريات كثيرة فيما يتعلق بالأسباب الكامنة وراء المتماثلات بين الأساطير. وقد اعتبر الكثير منها الأساطير مجرد ترجمات هزيلة poor للتاريخ، وحاولت تحليلها و شرحها بطرق خالية من التقديس لتفسير منافاتها الظاهرة للعقل. وفسر بعض الأغريق القدماء الأساطير باعتبارها قصصاً رمزية أو استعارات، وبحثوا عن واقعٍ مخفيٍّ في صور شعرية.

وكان الـ Theagenes of Rhegium المقترح المبكر (القرن السادس) لهذه النظرية من التفسير، وقد طورها بشكل أكثر اكتمالاً الفلاسفة الرواقيون، الذين هبطوا بالآلهة الإغريقية إلى مبادئ أخلاقية وعناصر طبيعية. واعتبر أوهوميروس أن الآلهة كانت شخصيات تاريخية مشهورة أصبحت مؤلَّهةً مع مرور الزمن. ويرى تفسير آخر أن الأساطيرهي تطور من انفصال غير مناسب بين البشري وغير البشري من الكائنات، وتُعتبر الحيوانات، والصخور، والنجوم على مستوى من الاتصال مع الناس، ويُعتقَد بأن الموتى يسكنون عالم الأحياء بشكلٍ روحي.

و يذكِّر تفسير استعاري لاحق أن الأساطير اخترعها، في زمنٍ ما، أناس حكماء لإيضاح حقيقة، ولكنها أُخذت بعدَ فترة من الزمن بصورة حرفية. فكرونوسَ Kronos، مثلاً، الذي التهم أبناءه، معرَّف بالكلمة اليونانية التي تعني الزمن، التي يمكن أن تشير إلى أنه يدمر كل ما يأتي به للوجود. وقد هذب هذه الطريقة في الدراسات الفيلولوجية المتعلقة بالأسطورة ماكس ولر Muller، الذي رأى أن الأساطير ناشئة من مفاسد اللغة: فما يبدو منافياً للعقل في الأسطورة، كما أشار، هو نتيجة نسيان الناس أو تحريفهم معاني الكلمات، كما هي الحال مع عبارة«شروق الشمس يتبع الفجر»التي يمكن تفسيرها في اليونانية بمعنى أن أبولو يلاحق دافني، حورية الفجر. وتقول نظرية مماثلة إن الأساطير، بما في ذلك الكتاب المقدس، هي تحريفات للتاريخ، وبالتالي، فإن ديوكاليون Deucalion هو اسم آخر لنوح Noah. وتفترض النظرية الانتشارية Diffusionist أصلاً مبكراً جداً من العصر الحجري للميثولوجيا، ثم انتشار موتيفات متنوعة عن طريق السفر، والهجرة، وأشكال أُخَر من الاتصال العابر للقارات. ومن خلال المقارنة مع ميثولوجيات أُخَر، فإن أساطير يونانية كثيرة تُفَسَّر الآن كنتاجات لتصنيف أدبي وبلغة إعادة تنظيمها الشكلي كقصائد ملحمية. وملاحم هومَر، بالتالي، ربط مدروس لعناصر أسطورية مع الخرافة legend والحكاية الشعبية folktale.

وقد بدأت التقدمات الحديثة الكبيرة في دراسة الميثولوجيا في القرن التاسع عشر، عندما راح دارسون مثل سير جيمس فريزَر وسير إدوارد بَرنيت تايلر يجادلون من أجل دراسة الميثولوجيا لا كتاريخ سيئ وإنما كعرف اجتماعي، ويلفتون النظر إلى أساطير المجتمعات البسيطة المعاصرة. وتفترض نظريات تايلر وأندرو لانغ Lang النشوئية، وقد رفضت باعتبارها تبسيطية وعنصرية، مرحلة معينة من العقلية الهمجية التي تميل إلى إنتاج أساطير مماثلة. وبعض النظريات الراهنة تضع، بدلاً من ذلك، أساساً سايكولوجياً أو عاطفياً وتربط الأسطورة بدوافع دينية عامة.

وكان فريزَر، الذي يعَد كتابه المهم جداً «الغصن الذهبي» (١٨٩٠) عملاً مقياسياً فيما يتعلق بالميثولوجيا، يعتقد بأن جميع الأساطير مرتبطة أصلاً بفكرة الخصب في الطبيعة، وبالولادة، والموت، وانبعاث النبات كموتيفة متكررة على نحو ثابت. وكان المحلل النفسي كارل يونغ بأن هناك مَيلاً موروثاً لدى جميع الناس إلى شكل معين من الرموز الأسطورية نفسها. وكان الباحث الديني ميرسيا إلياد Eliade يجادل بأن الأساطير تتلى لغرض القيام شعائرياً بإعادة خلق بداية الزمن حين استهلت جميع الأشياء، وهكذا يستطيع الواحد أن يعود إلى الفعل الإبداعي الناجح الأصلي. وأولئك الذين يميزون العادي باعتباره مدنساً ودنيوياً يعتبرون الأساطير شكلاً من الكلام المقدس، وتجليًات خاصة، بالتالي، لإحساس ديني عام. وهكذا، يميز فريدريك شليرماخَر الأسطورة بكونه تمثيلاً تاريخياً للإلهي فوق التاريخي. وعلى كل حال، فإن طلاب الميثولوجيا المعاصرين قد ابتعدوا عن محاولة تفسير التماثلات في المضمون قي جميع الأساطير عن طريق لفت الانتباه إلى السياقات المختلفة التي تحصل فيها الأساطير. وهم يعتقدون بأن الأساطير تعمل بتشكيلة منوعة من الطرق ضمن ثقافة مفردة .

عن / Encyclopedia/ yahoo